آفاق ثقافة وتراث

مجلة فصلية ثقافية تراثية

تصدر عن قسم الدراسات والمجلة

بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

دبي - ص.ب. ٥٥١٥٦

هاتف ٢٦٢٤٩٩٩ ٤ ٩٧١+

فاكس ٢٦٩٦٩٥٠ ٤ ٩٧١+

دولة الإمارات العربية المتحدة

السنة الثالثة عشرة : العدد الحادي والخمسون - رمضان ١٤٢٦ هـ - أكتوبر (تشرين الأول) ٢٠٠٥ م

رقم التسجيل الدولي للمجلة

ردمد ٢٠٨١ - ١٦٠٧

المجلة مسجلة في دليل أولريخ الدولي للدوريات تحت رقم ٣٤٩٣٧٨

هيئة التحرير

مدير التحرير

د. عز الدين بن زغيبة

سكرتير التحرير

د. يونس قدوري الكبيسي

هيئة التحرير

أ.د. حاتم صالح الضامن

د. محمد أحمد القرشي

أ. عبد القادر أحمد عبد القادر

الاشتراك السنوي

	داخل الإمارات	خارج الإمارات
المؤسسات	١٠٠ درهم	١٥٠ درهماً
الأفراد	٧٠ درهماً	١٠٠ درهماً
الطلاب	٤٠ درهماً	٧٥ درهماً

المقالات المنشورة على صفحات المجلة تعبر عن آراء كاتبيها ولاتمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو المركز الذي تصدر عنه

يخضع ترتيب المقالات لأمور فنية

الفهـــرس

الإفتتاحية

■ مكتبة خودابخش الشرقية العامة درة بيهار المعدمة

مدير التحرير ٤

المقالات

■ النصب بالمدح والذم في القرآن الكريم

د. حسن أسعد محمد ٦

■ صوتيات القرآن الكريم

أ. خالد مسعود خليل العيساوي ١٦

■ القرائن الدلالية في الحديث النبوي الشريف

د. هناء محمود شهاب ٣٠

■ همزية البوصيري تلك الرائعة التي شغل

الناس عنها بالبردة

أ. د. محمد سعيد رمضان البوطي ٥٠

■ نقد الشعر بين النحويين والشعراء

د. وليد قصّاب ٦٠

■ أبو بكر بن أبي شيبة والتفسير الذي نُسبَ إليه

(بحث علمي في توثيق نسبة التفسير إليه)

أ.د. سليمان ملا إبراهيم أوغلو ٧١

■ الشيخ الطيب العقبي مصلحاً

د. كمال عجالي ٨٠

■ دراسة إجازة البقاعي للنعيمي من خلال مخطوط

(الإيذان بفتح أسرار التشهد والأذان) على ضوء

«علم المخطوطات»

أ. عبد الواحد جهداني ٩٠

■ تراثنا العلمي... والسبيل إلى إحيائه

د. مصطفى يعقوب عبد النبي ١٠١

■ إجراءا ت الترميم المعماري وأساليبه في الجزائر

الأستاذة/ نجاة أحمد عروة ١١٣

المقالات العلمية

■ التاريخ الطبيعي للافقاريات

أ.د. محمد حسن الحمود ١٢٨

■ العلاج الطبيعي في التراث العربي الإسلامي

أ. د. محمود الحاج قاسم محمد ١٤٢

■ الملامح الفنيّة والتقنيّة للمخطوط الإسلامي المزوّق

في العصر العباسي

أ. د. صلاح حسين العبيدي ١٥٠

تعريف المخطوطات

■ «السناء الباهر بتكميل النور السافر» للشلي باعلوي

اليمني المكي – مخطوطة المتحف البريطاني

د. محمد سعيد صمدي ١٦٣

تحقيق المخطوطات

■ كتاب (تحسين الطرق والوجوه في قوله عليه السلام :

اطلبوا الخير عند حسان الوجوه)

دراسة وتحقيق: الدكتور يونس قدوري ١٧١

القرائن الدلالية

في الحديث النبوي الشريف

د. هناء محمود شهاب
جامعة الموصل - العراق

مقدمة:

تعد اللغة من أهم وسائل التعبير والاتصال الإنساني بين الأفراد والجماعات؛ إذ هي ترجمان لما يدور في الذهن من أفكار، وما يعتلج في النفس من معان، فبوساطة اللغة تصل الفكرة أو المعنى إلى الآخرين، وباللغة يتداول الناس الأفكار والمعاني.

ولا يقتصر معنى كلمة (لغة) على اللغة اللفظيّة وحدها Verbal Language بل تعدّ كل وسيلة غير لفظية يعبر بها الفرد عن فكرة أو انفعال معين لغة أيضًا[1]، فصورة الملامح لغة، والحركة لغة، والإشارة لغة، وطريقة النطق لغة.

جميع هذه القرائن التي يمكن أن تعبر عن معان معينة تعد لغة. وهي تؤدي وظائف مهمَّة في حياة الفرد ما دامت تتميز بصفة التعبير[2]. وقرائن اللغة هذه لا تقل في أهميتها وضرورتها بالنسبة إلى الأفراد عن اللغة اللفظية من حيث إنها لغة التفاهم بين الأفراد، فهي وسيلة إضافية ثانية (انتقائية) للتعبير عن معانٍ ومشاعر وأحاسيس معينة تكون أوقع في النفس وأسرع في الاستجابة وأعمق في الدلالة. وفي هذه الحالة يتحرر المتلقي أو المخاطب من منطقية الألفاظ، ويعيش في بعد تقويمي انفعالي معيّن، يفسر به هذه التعبيرات بطريقة أو بأخرى.

إنّ المتكلم البليغ قد يخفي غرضه عندما يقتضي المقام ذلك، فيكتفي بالتلميح أو الإشارة أو الحركة، أو نبرة الصوت تارة، أو يكشف عن نواياه، فيجهر ويصارح تارة أخرى في مواقف أخرى تستدعي هذه المكاشفة. وتتضافر براعة المتكلم في الحالين مع ما يتوافر في اللفظ والمعنى من محاسن؛ لينفذ الخطاب إلى السامع، فيمتلك قلبه ويؤثر في نفسه، فتأنس به وتألف لمحدثه.

قد نستدل على معانٍ متباينة من حركات الفرد نفسه في موقف ما؛ إذ إنه يقصد من هذه الحركات التعبير عن فكرة أو انفعال؛ أي نقل ما في ذهنه وشعوره وإحساسه إلى الآخرين[٣]، ومن ثمّ تعدّ تعبيرات الملامح الإراديّة، وغير الإراديّة، أو حركات أحد أعضاء الجسم كاليد، أو الرأس، أو الجانب الصوتي في الأداء، كلها وسائل فعالة في الإبلاغ، وهي تعبر عن معانٍ معينة يُراد إيصالها للآخرين بوساطة استخدام قرائن متنوعة للتعبير.

لقد تركزت الدراسة في هذا البحث على تلك القرائن الدلاليّة لدى أفصح من نطق بالضاد، رسولنا الكريم(ﷺ)، فقد كان التعبير النبوي يضم قرائن متعددة للإفصاح عن المعنى أو الفكرة، ولكنه في كل الأحوال يفي بالقصد، وينفذ إلى المخاطب، ويشد انتباهه، ويؤثر في نفسه.

القرائن الدلاليّة في الحديث الشريف[٤]:

لقد حفل الحديث الشريف بضروب من وسائل التعبير المعبرة عن معانٍ تتصل بالعقيدة والعمل والسلوك، أظهرتها سياقات الأحاديث ومقتضيات أحواله: إذ إنّ تلك الوسائل جميعها تطابق المقام وحال المخاطب. ولا شك في أن إدراك دلالات تلك الوسائل في الحديث الشريف يحتاج إلى حذر ودقَّة خوف الوقوع في مزالق الشطط والبعد عن مرمى الأحاديث ومعانيها، ولا سيما الاختلاف في دلالة الحركة أو الإشارة الواحدة في مواقف وتعابير متعددة. لذا أرجو أن تكون الدراسة قد قاربت الصواب في الوقوف على تلك الدلالات.

إنّ وسائل التعبير تلك، التي تعدّ قرائن في الكلام، منطلق لإيحاءات وتأملات، يساعد في إبرازها والكشف عنها التأملُ في السياق وأحوال المخاطب، والموقف الذي قيل فيه الحديث الشريف، وقد استقى البحث من هذه الأمور، وما فيها من إجادة وإحكام وبلاغة أداء وبراعة توصيل، دلالات تعبيريّة تطابق مقتضى الحال، فهي أسلوب مناسب للمقام أولاً وللمتلقي ثانيًا.

لقد تنوعت طرائق التعبير في الحديث الشريف ما بين تعبيرات انفعالية، تعلو ملامح الوجه الشريف، كالتعبير عن مشاعر الغضب، أو الكراهة، أو الفرح، أو الحزن، أو القلق. وما بين إشارات حركية متباينة الصورة والكيفيّة للتعبير عن معانٍ نفسية وعقيدية متنوعة. وقد لا تكفي الإشارة الحركية عن التعبير عن مكنون النفس ومتطلبات العقيدة؛ لذا صحبها في مواقف كثيرة اللفظ، فإذا اجتمعا كملت الدلالة عن المعنى المطلوب في ذلك المقام.

وهذه الثنائية في الدلالة ظاهرة ملحوظة في حديث رسول الله(ﷺ)؛ إذ يكون الكلام مقرونًا بالحركة للتعبير عن المعنى المقصود.

وقد لا تنهض الإشارة الثنائية (الحركية-اللفظية) كل حين بالتعبير عن جميع المعاني والحاجات الفكريّة والنفسيّة المتباينة، بل هناك غيرها ذو قيمة دلاليّة تتفاوت من حال إلى حال، ويختلف عن اللفظ وعن الحركة، وعن كليهما معًا إذا اجتمعا، في أنه ذو صفة خاصة معينة لها دلالتها وإيحاؤها الخاص، ويتجلى ذلك في الحديث الشريف في النبر، وفي التنغيم، وفي التكرار، ففيهم جميعًا بلاغة وأية بلاغة!.

وفيما يأتي أنواع من القرائن في الحديث الشريف ودلالتها، كما وضحت لنا من دراستها:-

المبحث الأول: القرائن الحاليّة:

أولاً: القرائن الدلالية غير الإراديّة وتتضمن:

أ- القرائن الدَّالة على الغضب والكراهيّة.

ب- القرائن الدَّالة على الرضا والسرور.

ج- القرائن الدَّالة على الحزن والقلق.

ثانيًا: القرائن الدلالية الإراديّة وتتضمن:

أ- قرينة الملامح.

ب- قرينة الإشارات والحركات:

١- الإشارات والحركات المنفردة.

٢- الإشارات والحركات المزدوجة.

المبحث الثاني: القرائن الدلاليّة اللفظيّة وتشمل:

١- النبر.

٢- التنغيم.

٣- التكرار.

وتنتظم تحت كل نوع من هذه القرائن ألوان من الوسائل المعبرة عن المعاني التي عُني أبلغ البلغاء نبينا محمد (ﷺ) ببيانها والإفصاح عنها، وفهمها الصحابة الإجلاء (رضوان الله عليهم جميعًا) وأدركوا معانيها، وتصرفوا على ضوء ما فهموه من تعبيراتها، وهم يرونها في حركاته أو إشاراته، أو يسمعونها في نبرات صوته وطريقة نطقه.

وقد فهم علماء الفقه تلك التعبيرات والإشارات أيضًا، واستنبطوا الأحكام من خلالها، فقد ذهب الجمهور إلى أنّ الإشارة إذا كانت مفهمة تتنزل منزلة النطق[٥].

وفيما يأتي بيان لدلالات تلك القرائن:

المبحث الأول: القرائن الحاليّة:

أولاً: القرائن الدلالية غير الإراديَة:

هذا اللون من ألوان التعبير يكون عفويًّا تلقائيًّا، وهو ما يطلق عليه لغة الملامح. وهو تعبير ينعدم فيه عنصر الإرادة، وكذلك عنصر الاتفاق الاجتماعي على دلالة معينة، وأخيرًا عنصر القصد إلى الإبانة والإفهام[٦].

والملامح تعبر، ولكنها لا تتكلم، وتعبيرها تلقائي عفوي، أو غريزي اضطراري[٧]. وقد عدّ الدكتور تمام حسان تعبيرات الملامح هذه من القرائن الحالية في أثناء الكلام[٨]. أما علماء الأخلاق والفراسة[٩] فقد وجدوا في الوجه مرآة لخلق صاحبه، ودليلاً على سلوكه، فقد يتغير الوجه فيُصاب بالشحوب أو الاحمرار أو التعرّق في حالة انفعالية معينة كالخوف أو الغضب أو الحزن أو الألم.

وفي الحديث الشريف أنواع متعددة من تعبيرات الملامح غير الإرادية، التي كانت تظهر على المحيا الشريف لتعبر عن مشاعر وانفعالات نفسيّة عميقة، وهذه التعبيرات تعدّ قرينة، تؤدي دورًا قسريًّا في تفهم المعاني التي يحس بها المتلقي، بوصفها انفعالات وجدانيّة، والانفعال - كما يقول علماء النفس - يستثار تحت تأثير عوامل داخلية وخارجية[١٠]، ولكن الانفعال النبوي لا يستثار إلا لعوامل خارجية[١١]، وبلاغته أنه يزيد من الاستثارة والاستجابة والتهييج. «وقد يكتشف نوع الانفعالات التي تعكسها تغييرات الوجه من الموقف الذي استدعى ذلك التعبير، الذي ينم عن الانفعال»[١٢]. لذا يمكننا أن نجمل تلك القرائن بما يأتي:

١. القرائن الدَّالة على الغضب والكراهيّة.

٢. القرائن الدَّالة على الرضا والسرور.

٣. القرائن الدَّالة على على الحزن والقلق.

١-القرائن الدّالة على الغضب والكراهيَة.

كان أشد ما يثير رسول الله (ﷺ) فيبدو

الانفعال على ملامح وجهه الشريف أن تنتهك حرمة من حرمات الله، فكان يغضب لله، ولم يكن قد غضب لنفسه قط[١٣].

وكانت آثار الانفعال تبدو في احمرار وجهه الشريف، فكان الصحابة (رضوان الله عليهم) يدركون ما يحمله هذا الاحمرار الظاهر على الوجه النبوي من انفعالات الغضب أو الكراهية لذلك الحدث أو الفعل، والانفعال حالة وجدانيّة قويّة طارئة مفاجئة، تتصف بجوانب معرفيّة خاصة، وإحساسات وردود أفعال فسيولوجية، وسلوك تعبيري معين، كما يعرفه علماء النفس[١٤]. وفيما يأتي نماذج من الأحاديث الشريفة:

- عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه): أنّ النبي (ﷺ) قسم يومًا قسمة، فقال رجل من الأنصار: إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله، فأتاه وسره بما قال الرجل، وكان (ﷺ) في ملأ، فغضب حتى أحمر وجهه، ثم قال: «رحمة الله على موسى، أوذي بأكثر من هذا فصبر»[١٥].

- عن عروة بن الزبير: أنّ امرأة سرقت في عهد رسول الله (ﷺ) في غزوة الفتح، ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه، فلما كلمه أسامة فيها تلوّن وجه رسول الله (ﷺ)، فقال: «أتكلمني في حد من حدود الله؟»[١٦].

- عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: سمعت رجلاً قرأ آية، وسمعت النبي (ﷺ) يقرأ خلافها، فجئت به النبي (ﷺ) فأخبرته، فعرفت في وجهه الكراهية، وقال: «كلاكما محسن، ولا تختلفوا، فإن من قبلكم اختلفوا فهلكوا»[١٧].

لقد كان احمرار الوجه في الحديث الأول - وهو تعبير غير إرادي - دلالة على شدّة غضب رسول الله (ﷺ)؛ لأنّه إنما أعطى ناسًا من أشراف العرب ليأتلفهم، لأنهم حديثو عهد بالإسلام، ولما سمع ما قيل عنه ظهر آثار ذلك الانفعال على وجهه الشريف، والتي أدركها الصحابي الجليل.

وقد تلقى رسول الله (ﷺ) ذلك الأذى بالصبر والحلم، على الرغم من انفعاله، اقتداء بالنبي موسى (عليه السلام) الذي صبر على إيذاء قومه.

أما الحدث الثاني، فقد كان الانفعال قد بلغ مداه، كما عبر عنه الصحابي بتلون وجه رسول الله (ﷺ)؛ لأنّ الأمر المنكر خطير جدًّا؛ إذ إنه يتعلق بحكم من أحكام الشرع، وهو إقامة الحدّ على السارق، لذلك كان الغضب على أشدّه، وكان جواب رسول الله (ﷺ) بصيغة الاستفهام الإنكاري معبرًا هو الآخر عن شدّة الانفعال وقوته[١٨].

وقد ندم الصحابي أسامة (ﷺ) على استشفاعه بعد أن رأى علامات الانزعاج على وجهه الشريف، فطلب منه أن يستغفر الله تعالى له[١٩].

أما مشاعر الكراهية، وهي كراهيته للشيء إذا كان مخالفًا لأصول العقيدة، فقد كانت هذه المشاعر لا تقل حدّة عن مشاعر الغضب، وكان الصحابة الأجلاء يدركون لغة الملامح هذه ويميزونها من غيرها، كما ميّزها الصحابي راوي الحديث عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) في الحديث الثالث. يقول أبو سعيد الخدري (رضي الله عنه): «إذا رأى شيئًا (يقصد رسول الله ﷺ) يكرهه، عرفناه في وجهه»[٢٠].

لا شك في أن تلك التعبيرات الدّالة يتجلى في أبهى صورها الخلق النبوي الكريم، «فلم يكن رسول الله (ﷺ) يواجه أحدًا بما يكرهه، بل يكظم غضبه، فيتغير وجهه لذلك، فيفهم أصحابه كراهيته لذلك»[٢١]. فالتغير في لون الوجه أو

احمراره من آثار الانفعال الغضبي الجسديّة، كما يقررها علماء النفس[٢٢].

ولغة الملامح هذه على الرغم من أنها ليست تعبيرًا لفظيًّا إلا أنها تتميّز ببلاغة التعبير؛ إذ إنّ إظهار الغضب من تلك الأمور يكون أوكد بالزجر عنها، كما علل ذلك العسقلاني[٢٣][٢٤].

٢- القرائن الدّالة على السرور والرضا:

لم يكن تلون وجه رسول الله(ﷺ) معبرًا عن مشاعر الغضب والكراهية فحسب، بل كانت تعبيرات السرور والغبطة هي الأخرى تظهر على الملامح النبويّة الشريفة؛ لتفصح عما في داخلها من معاني الفرح والاطمئنان والإشراق، التي تدل على الإحساس بتلك المعاني والانفعال بها.

ويذكر علماء النفس أن الانفعال تصاحبه عدّة تغيرات في السلوك الخارجي (تغيرات بدنيّة خارجيّة)، فيعبر الناس عن انفعال السرور بالابتسام والضحك، ويظهر الانفعال واضحًا من التغير الذي يحدث في ملامح الوجه، وفي هيئة البدن وفي نبرات الصوت[٢٥].

وفيما يأتي طائفة من الأحاديث الشريفة التي تعبّر عن ذلك الانفعال:

- عن ابن مسعود (رضي الله عنه) أن المقداد بن الأسود (رضي الله عنه) أتى النبي (ﷺ) وهو يدعو على المشركين، فقال: «لا نقول كما قال موسى (اذهب أنت وربك فقاتلا)، ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك». فيقول الراوي: «فرأيت النبي (ﷺ) أشرق وجهه وسرّه»[٢٦]. وقال كعب بن مالك (رضي الله عنه)، حين تخلف عن غزوة تبوك، ثم أنزل الله توبته: «فلما سلمت على رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور، أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك»[٢٧].

إنّ لغة الملامح تلك التي عبّر عنها الراوي في الحديث الأول بإشراقة الوجه، وفي الحديث الثاني ببريقه، هي أكبر ترجمان وأفضل بديل للكلام، فهي تغني عنه بما تعبر عنه من مشاعر مختلفة.

وكان الصحابة يدركون تعبيرات الملامح السارة، مثلما يدركون غيرها؛ إذ يقول الصحابي كعب بن مالك (رضي الله عنه): «كان رسول الله (ﷺ) إذا استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر. وكنا نعرف ذلك منه»[٢٨]، وعلى الرغم من أنّ علماء النفس يعبرون عن انفعال السرور بالابتسام أو الضحك - كما ذكرنا - إلا أن التعبير النبوي عن هذه المشاعر لم يكن بالضحك أو الابتسام، وإلا لو كان كذلك لذكر الصحابة تلك الملامح، إنه هنا شيء مختلف عن ذلك كلّه، فهو تعبير خاص بالنبوة، عبر عنه الصحابي بدقّة، حين شبّه استنارة الوجه النبوي بقطعة قمر، ولا شك في أنّ قائل هذا التشبيه هو كعب بن مالك، وهو من شعراء الصحابة، فلا بد من أن تقييده بالتشبيه بقطعة من القمر فيها حكمة وبلاغة؛ لأن البلغاء دأبوا على أن يشبهوا الوجه بالقمر بغير تقييد. وبلاغة ذلك- كما يرى العسقلاني- للإشارة إلى موضع الاستنارة وهو الجبين، وفيه يظهر السرور، فكأن التشبيه وقع على بعض الوجه فناسب أن يشبه ببعض القمر[٢٩].

في الحديث الأول كانت كلمات المقداد بن الأسود (رضي الله عنه) كالماء البارد على نفس رسول الله (ﷺ) حين بلغه أن قريشًا قصدت بدرًا، وأنّ أبا سفيان نجا بمن معه، فاستشار الناس، ثم قام المقداد فذكر استعداده والصحابة جميعًا لأن يقاتلوا مع رسول الله(ﷺ)، ولا شك في أن ذلك قد سر النبي ونشطه وأطمأن إلى حال المسلمين، وفي هذا الاطمئنان النفسي استعداد روحي للمعركة.

وفي الحديث الثاني كانت لغة الملامح التي عبّر عنها الصحابي الجليل ببريق الوجه تنم عن معاني الفرح والسعادة لنزول آيات التوبة عن الثلاثة الذي تخلفوا عن غزوة تبوك، وفي ذلك يظهر الخلق النبوي في شدّة الشفقة والرأفة على أمته، والفرح بما يسرهم[٣٠].

٢-القرائن الدالّة على الحزن والقلق:

ومن تعبيرات الملامح الأخرى التي تعدّ من القرائن الحاليّة أو المعاني المقاميّة، كما يطلق عليها الدكتور تمام حسان[٣١]، تلك التعبيرات التي تصاحب مواقف الحزن أو القلق أو الخوف، فهي تشي بما في النفس النبويّة من انفعالات، وكان الصحابة الأجلاء (رضي الله عنهم) يفهمون من هذه الانفعالات الأحاسيس النبوية، ومنهم أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) كما يبدو من روايتها لما يأتي:

- «لما جاء النبيَّ(ﷺ) قتلُ ابن حارثة وجعفر وابن رواحة جلس يعرف فيه الحزن»[٣٢].

- «كان النبي (ﷺ) إذا رأى مخيلة[٣٣] في السماء أقبل وأدبر ودخل وخرج وتغير وجهه، فإذا أمطرت سري عنه». وقد رغبت أم المؤمنين عائشة في أن تعرف سر هذه التعبيرات والانفعالات فسألته عنها، فقال:«وما أدري كما قال قوم عاد» ﴿فلما رأوه عارضًا مستقبل أوديتهم﴾[٣٤][٣٥].

ففي الحديث الأول ظهرت على وجهه الشريف مخايل الحزن، التي أدركتها أم المؤمنين (رضي الله عنها). وذلك عندما علم باستشهاد الصحابة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة في غزوة مؤتة، فكأنه كظم الحزن كظمًا، فظهر منه ما لابد للجبلة البشرية منه[٣٦].

وكانت حركة الإقبال والإدبار والدخول والخروج، إضافة إلى تغير لون الوجه، كلّها قرائن تشي بمشاعر القلق والخوف، وهي مشاعر ليس من السهل التفريق بينهما؛ لأنّ الاستجابات الفسيولوجية لها تكون متشابهة[٣٧].

أما الغزالي، فقد عرف انفعال الخوف بأنه:«احتراق القلب لانتظار مكروه في الاستقبال، وأنه يفيض من القلب على الجسد والجوارح ما يظهر أثر ذلك عليه»[٣٨].

وقد كان (ﷺ) أشد رأفة بالمؤمنين من أنفسهم، فاعتراه الخوف أن يحل بهم ما حلَّ بالأمم الخالية من الهلاك والعذاب، فظهرت آثار تلك المشاعر على جوارحه الشريفة[٣٩].

ثانيا: القرائن الدلالية الإرادية:

ونقصد بها جميع الحركات العضوية كإشارة اليدين وتعبيرات الملامح الإرادية كالتبسم والضحك والتحديق والإعراض بالوجه، إلى غير ذلك من الحركات التي تعدّ من القرائن الحالية في أثناء الكلام كما يسميها الدكتور تمام حسان[٤٠].

والإشارة تعني التعبير عن معنى لم يصدر عن كلام، بل يصدر عن حركة أو صوت[٤١].

وكان أبو عثمان الجاحظ(ت٢٥٥هـ) قد احتفى كثيرًا بالدلالات الإشارية، إذ إنه عدّ الإشارة وسيلة التفاهم بين الناس في المعاني الخاصّة؛ إذ يقول: «ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص، ولجهلوا هذا الباب البتة»[٤٢]. كما أنه قدّم الإشارة على الصوت المعبر عن معنى، «لأنّ مبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت»[٤٣]. وعدّ حسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان[٤٤].

وقد كانت الإشارة النبوية توحي أكثر مما تصرح، وتنبه بقدر ما تعبر، فهي بمنزلة منبه فنّي يوقظ الذهن والشعور، إضافة إلى أنها وسيلة تساعد على الحفظ والتذكر، فالمتلقي تبقى صورة الإشارة ومدلولها في ذهنه ونفسه أكثر من الكلام الذي يمر على الآذان مرورًا سريعًا، وربما ينسى مضمونه.

ونستطيع أن نقسم هذا النوع من القرائن إلى:

أ- قرينة الملامح.

ب- قرينة الإشارات والحركات وتتضمن:

١- الإشارات والحركات المنفردة.

٢- الإشارات والحركات المزدوجة.

أ- قرينة الملامح:

وهي تعبيرات وجهيّة كالتبسم والضحك مثلاً، فقد كانت الملامح النبوية الشريفة تعبر بهذه الحركات عن كثير من المعاني النفسيّة كالرضا أو التعجب أو الإيناس والملاطفة أو الاعتذار، فكانت تقوم مقام النطق، كما نرى في الأحاديث الشريفة الآتية:

- عن أنس بن مالك (رضي الله عنه): «أن المسلمين بينما هم في الفجر يوم الاثنين، وأبو بكر (رضي الله عنه) يصلي بهم، ففاجأهم النبي (ﷺ) قد كشف ستر حجرة عائشة (رضي الله عنها) فنظر إليهم وهم صفوف، فتبسم يضحك، فنكص أبو بكر (رضي الله عنه) على عقبيه يظن أن رسول الله (ﷺ) يريد أن يخرج إلى الصلاة، وهمّ المسلمون أن يفتنوا في صلاتهم فرحًا بالنبي (ﷺ) حين رأوه، فأشار بيده أن أتموا، ثم دخل الحجرة، وأرخى الستر، وتوفي ذلك اليوم»[٤٥].

- عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها[٤٦] الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلاً[٤٧] لأهل الجنة، فأتى رجل من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنزل أهل الجنة؟، قال: بلى. قال: تكون الأرض خبزة واحدة كما قال النبي (ﷺ)، فنظر النبي (ﷺ) إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه[٤٨][٤٩].

- عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه كان يشد الحجر على بطنه من الجوع، ولقد مر به رسول الله (ﷺ) يومًا فيقول: فتبسم حين رآني وعرف ما في نفسي وما في وجهي، ثم قال يا أبا هر، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: الحقْ، ومضى فتبعه[٥٠].

- عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: «كنت أمشي مع رسول الله (ﷺ) وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذ بردائه جبذةً شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي (ﷺ)، وقد أثرت فيها حاشية الرداء من شدّة جبذته، ثم قال يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء»[٥١].

فالتبسم والضحك في الحديث الأول، وفي موقف رسول الله (ﷺ) ذاك، وهو ينظر إلى جموع المصلين، يؤمهم الصحابي الجليل أبو بكر (رضي الله عنه) فيه دلالة على السرور بهم والرضا عنهم، وهم مجتمعون في صلاتهم، يؤدونها كما علمهم رسولهم الكريم، وهو راض عنهم بإمامهم أبي بكر الصديق (رضي الله عنه).

وكان النظر إلى الجالسين في الحديث الثاني، والضحك حتى بدت نواجذه الشريفة تعجبًا من إخبار اليهودي عن كتابهم بمثل ما أخبرهم (ﷺ) من جهة الوحي وتصديقًا له، وكان (ﷺ) يعجبه

موافقة أهل الكتاب فيما لم ينزل عليه، فكيف بموافقتهم فيما أنزل عليه»[٥٢].

أما تبسمه (ﷺ) في وجه أبي هريرة (رضي الله عنه) فقد كان ملاطفة وتأنيسًا في مقام أحوج ما كانت نفس أبي هريرة إلى هذه المشاعر والأحاسيس، وقد أدرك أبو هريرة هذه المشاعر النبوية إذ يقول:

«وعرف ما في نفسي وما في وجهي». وقد حمل العسقلاني تبسمه (ﷺ) على المؤانسة؛ إذ يقول: «إنّ التبسم تارة يكون لما يعجب، وتارة يكون لإيناس من تبسم إليه، ولم تكن تلك الحال معجبة، فقوي الحمل على الثاني»[٥٣]. وفي ترخيم الاسم ومناداته بـ (أبي هر)، زيادة في التأنيس والملاطفة والموادة.

وقد يكون التبسم أو الضحك تعبيرًاعن جمال الخلق والحلم والسماحة التي يتمتع بها خير خلق الله، الذي وصفه ربه تعالى فقال: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾[٥٤]. وهذه الصفات تظهر في ضحكه السمات (ﷺ) مع الأعرابي الذي شدّ رداءه، حتى أثرت في عاتقه (ﷺ) حاشية الرداء، والذي كان يستلزم موقفًا آخر لو كان المخاطب بشرًا كسائر البشر، لكنه الخلق النبوي الذي لا مثيل له من أجل ملاطفة من يريد تأليفه على الإسلام. لقد كان ضحكه (ﷺ) إشارة إلى حلمه وصبره على الأذى في النفس والمال، والعفو عن جفاء من يريد تأليفه على الإسلام من أجل أن يتأسى به الولاة بعده في خلقه الجميل من الصفح والإغضاء والدفع بالتي هي أحسن[٥٥].

وقد يكون للتحديق دلالة على ما يجول في الخاطر أكثر مما يعبّر عنه الكلام، فعن أنس (رضي الله عنه) قال:

«أتي النبي (ﷺ) بمال من البحرين، إذ جاءه العباس فقال: يا رسول الله، أعطني. فقال له رسول الله (ﷺ): خذ، فحثا في ثوبه، ثم ذهب يقله[٥٦] فلم يستطع، فقال: يا رسول الله أؤمر بعضهم يرفعه إلي. قال: لا. قال: فارفعه أنت يا علي. قال: لا. فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يستطع، فقال: مثل ما قال في الأولى، فنثر منه، ثم احتمله فألقاه على كاهله، ثم أنطلق، فما زال رسول الله (ﷺ) يتبعه ببصره - حتى خفي علينا عجبًا من حرصه»[٥٧].

إنّ أطالة النظر إلى العباس (رضي الله عنه) حتى اختفى عن الأنظار في مثل هذا الموقف فيه دلالة التعجب من حرص الإنسان على المال. وقد أدرك الصحابة (رضي الله عنهم) تلك الدلالة من النظرات النبوية الشريفة، كما ذكر الراوي (عجبًا من حرصه).

ب- قرينة الإشارات والحركات:

١- الإشارات والحركات المنفردة:

وقد تنقل اللغة غير اللفظيّة انفعالاً أو فكرة عن طريق حركة عضو من أعضاء الجسم كاليد أو الوجه مثلاً، مكتفية بالإشارة دون الكلام؛ لتدل على معان متباينة، كالزجر أو الملاطفة أو الإعراض تبعًا لحال المخاطب، فالإشارة البليغة هي مطابقتها لمقتضى الحال، وربما تكون أبلغ في دلالتها من الكلام في موقف من المواقف، كما هي الحال في الإشارات النبوية الآتية:

- عن عبد الله بن عباس (رضي الله عنه) أنّ رسول الله (ﷺ) أردف الفضل بن عباس يوم النحر خلفه على عجز راحلته، وكان رجلاً وضيئًا، فوقف النبي(ﷺ) للناس يفتيهم، وأقبلت امرأة وضيئة تستفتي رسول الله (ﷺ) فطفق الفضل ينظر إليها وأعجبه حُسنها، فالتفت النبي (ﷺ) والفضل

ينظر إليها، فأخلف[٥٨] بيده، فأخذ بذقن الفضل فعدل وجهه عن النظر إليها»[٥٩].

- عن عبد الله بن عباس (رضي الله عنه) أنه بات ليلة عند خالته ميمونة أم المؤمنين (رضي الله عنها)، فلما انتصف الليل استيقظ رسول الله (ﷺ) فجلس، فمسح النوم عن وجهه بيده، ثم توضأ فأحسن وضوءه ثم قام يصلي. يقول: فقمت فصنعت مثلما صنع، ثم ذهبت فقمت إلى جنبه، فوضع رسول الله (ﷺ) يده اليمنى على رأسي. وأخذ بأذني اليمنى يفتلها بيده...»[٦٠].

- عن عقبة بن الحارث قال: «تزوجت امرأة، فجاءتنا امرأة سوداء فقالت: أرضعتكما، فأتيت النبي (ﷺ) فقلت: تزوجت فلانة بنت فلان، فجاءتنا امرأة سوداء، فقالت لي: إني قد أرضعتكما، وهي كاذبة، فأعرض عني، فأتيته من قبل وجهه. قلت: إنها كاذبة. قال: كيف وقد زعمت أنها قد أرضعتكم، دعها عنك»[٦١].

لقد كانت إشارة اليد في الحديثين الأولين تدل على معنيين متضادين، ففي الحديث الأول، كانت دلالتها على الزجر والردع، وقد تكفلت الإشارة بالإفصاح عن هذا المعنى، فقد حوّل رسول الله (ﷺ) وجه الفضل بيده حين أطال النظر إلى المرأة لإعجابه بها، فخشي الفتنة.

يقول العسقلاني في التعليق على حركة اليد الشريفة: «وفيها دلالة الزجر عن إطالة النظر إلى المرأة»[٦٢]. فكان أسلوب الإشارة أدعى إلى إذعان المخاطب، وآكد في زجره عن الفعل.

أما في الحديث الثاني فقد كانت حركة اليد النبوية الشريفة، وهي تربت على رأس عبد الله بن العباس (رضي الله عنه)، وفتل أذنه اليمنى، دلالة على الملاطفة والمداعبة من أجل تشجيع الصبي وتنشيطه لاستيقاظه ليلاً للصلاة ومتابعته للنبي (ﷺ) في وضوئه وقيامه، وفي ذلك حث وتشجيع على صلاة الليل.

أما الحديث الثالث فقد كانت الإشارة بالوجه، إذ أعرض رسول الله (ﷺ) عن المستفتي من أجل تنبيهه على أنّ الحكم فيما سأله الكف عنه، فلما لم ينتبه السائل إلى دلالة الزجر التي عبّر عنها النبي (ﷺ) بإعراض وجهه، وكرر السؤال، قال له بأسلوب الأمر الصريح: دعها عنك: ليتأكد الكف عن ذلك. فالرسول الكريم بليغ يراعي المقام ونفسية المخاطب، فيخاطب كل إنسان بما يناسبه، فيستميله ويبلغ منه القصد.

والإشارة باليد كثيرة في الحديث الشريف، سواء أكانت بمفردها أم مقترنة بالكلام، وهذه الإشارة لها دلالة اجتماعية معروفة ومتداولة كالإشارة باليد لطلب المجيء[٦٣]، أو الجلوس[٦٤]، أو طلب إتمام الصلاة[٦٥]، أو طلب الثبات والبقاء في المكان[٦٦]، أو عدم الرغبة في الشيء[٦٧]، أو الإشارة باليد إلى عضو من أعضاء الجسم كاللسان والأنف، أو إلى جهة من الجهات[٦٨]، أو التعبير عن المناصفة[٦٩]، وهذه الإشارات تختلف في طريقة تحريك اليد كما تختلف في دلالتها أيضًا.

والإشاحة بالوجه ليس دليلاً على الإعراض أو الكف عن الكلام فحسب، وإنما قد يكون دلالة على الاستحياء والخجل[٧٠] أيضًا. وقد تكفلت الإشارة المثيرة للانتباه والمساعدة على الحفظ والتذكر بالإفصاح عن جميع تلك المعاني.

وقد تكون حركة اليد لا لتعبر عن معانٍ نفسية وشعوريّة معينة، وإنما قد تكون لبيان الأحكام وتوضيح الشريعة، فتتولى حركة اليد التعبير والإفصاح عن المعنى المقصود دون الحاجة إلى الكلام.

فعن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: «خرج رسول الله (ﷺ) من المدينة إلى مكة، فصام حتى بلغ عسفان، ثم دعا بماء فرفعه إلى يده ليراه الناس، فأفطر حتى قدم مكة، وذلك في رمضان»[٧١].

لقد أراد رسول الله (ﷺ)، وهو المشرع والمقتدى به، أن يبيّن للناس كافة، جواز الإفطار في رمضان في السفر، فاكتفى (ﷺ) بالإشارة بدلاً عن النطق، وهي رفعه الماء إلى أقصى طول يده من أجل أن يراه جميع الناس، ويقتدوا به، فالإشارة في هذا المقام أبلغ في الإفصاح من الكلام؛ لأنّ مبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت[٧٢] أولاً، وليتحقق الناس جميعًا من أنه، وهو النبي(ﷺ)، قد أفطر، وفي ذلك بيان واضح لجواز الإفطار ثانيًا[٧٣].

٢- الإشارات والحركات المزدوجة:

إنّ الصوت الإنساني المعبّر قام مع الإشارة، ومع الحركة، بالخطوة الأولى في التعبير عن أول وميض من النور المودع في الإنسان، وهو العقل[٧٤]. فقد لا يفي القول وحده أو الحركة وحدها في الإفصاح عن المعنى، فإذا اجتمعا كملت الدلالة، ووضحت الفكرة، ومن هنا عدّهما الجاحظ شريكين في التعبير عن المعنى، وعدّ الإشارة عونًا للفظ وترجمانًا له[٧٥].

ويرى جان جاك روسو (ت١٧٧٨م) ذلك أيضًا إذ يقول: «إنّ عامّة الوسائل التي نقدر بها على التأثير في حواس الغير تنحصر في اثنين: هما الحركة والصوت»[٧٦].

وهذه الثنائية في الدلالة ظاهرة ملحوظة في الحديث الشريف؛ إذ يصحب الحركة ألفاظ وتعابير تعبّر عن معنى ذي دلالة خاصة، فهي كفيلة بالتعبير عن الحالات الفكريّة والنفسية المتباينة.

وقد تكون الحركة واللفظ متفقين زمنيًّا أو متواليين ليعبر بهما عن معنى، ويصور بهما موقف.

والحركة المصاحبة للحديث الشريف تتنوع ما بين إشاحة وإعراض بالوجه، أو تغيير في جلسته (ﷺ) أو إشارة باليد. كما نرى في الأحاديث الشريفة الآتية:

- عن عدي بن حاتم قال: قال النبي(ﷺ): «اتقوا النار. ثم أعرض وأشاح[٧٧] ثم قال: اتقوا النار. ثم أعرض وأشاح ثلاثًا، حتى ظننا أنه ينظر إليها. ثم قال: اتقوا النار ولو بشق تمرة. فمن لم يجد فبكلمة طيبة»[٧٨].

- عن أبي بكر: أنّ النبي (ﷺ) قال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ (ثلاثًا). قالوا: بلى يا رسول الله. قال الإشراك بالله وعقوق الوالدين - وجلس وكان متّكئًا - فقال: «ألا وقول الزور». قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت»[٧٩].

- عن أبي سعيد الخدري(رضي الله عنه): «كنا نحمل لبنة لبنة وعمار يحمل لبنتين لبنتين. فرآه النبي(ﷺ) فينفض التراب عنه ويقول: ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار»[٨٠].

- عن سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) قال: «أعطى رسول الله(ﷺ) رهطًا وأنا جالس فيهم، فترك رسول الله منهم رجلاً[٨١] لم يعطه، وهو أعجبهم إلي، فقمت إلى رسول الله (ﷺ) فسررته، فقلت: مالك عن فلان، والله إني لأراه مؤمنًا. (فعل ذلك مع رسول الله ثلاث مرات)، فيقول: «فضرب رسول الله (ﷺ) بيده فجمع بين عنقي وكتفي، ثم قال: أقبل أي سعد، إني لأعطي الرجل وغيره أحبُّ إلي منه خشية أن يكب في النار على وجهه»[٨٢].

فالحركة في الحديث الأول كانت الإعراض والإشاحة بالوجه، وكأنه (ﷺ) قد تمثلت النار أمامه، فهو يعرض ويصد وجهه عنها، وفي هذه الإشارة مبالغة في التحذير من الاقتراب منها، وحث وتحريض لأمته على تجنبها والوقاية منها، عن طريق الصدقة، فاليسير منها يقي المتصدق من النار، أو بالكلمة الطيبة التي يصلح بها بين اثنين، أو يفصل بين متنازعين، أو يحل مشكلاً، أو يسكن غضبًا.

لقد كانت الإشارة مع اللفظ ذات دلالة مزدوجة وشت بتلك المعاني التي اقتضاها المقام. وقد يكون تغيير الجلسة في مقام آخر إشارة أخرى على التحذير، غير الإعراض والإشاحة بالوجه، كما في الحديث الثاني، فبعد أن تهيأت الأذهان للسماع، وتشوقت لمعرفة تلك المعلومة، التي أثارها أسلوب العرض، الذي استقطب الأذهان، واستولى على القلوب، جاء جواب الصحابة بتوجس وخيفة: بلى يا رسول الله.

ويصور التعبير - جلس وكان متكئًا - مدى ما صعد إليه اهتمام النبي (ﷺ) يصور هذا الانتقال من حال الاتكاء إلى حال الجلوس، لا ليكون ترويحًا من وضعه الأول، ولكن ليكون تحذيرًا مما سيقال. عبارة قصيرة تتبع هذه الانتفاضة: ألا وقول الزور[٨٣].

لقد خالفت الكبيرة الأخيرة الكبيرتين السابقتين بشيئين، هما الحركة والقول. أما الحركة فمن أجل تنبيه المخاطب على أنّ الحديث قد بلغ مقطعًا مهمًّا من المعنى، يجب عليه أن يلتفت إليه. وهذه قاعدة عامّة في كل مخالفة[٨٤]. وأما القول فكان بأسلوب التنبيه الذي عبرت عنه الأداة (ألا)، والذي كرر عددًا من المرات، لم يقدر الصحابي الجليل على حصره.

أليس يقول الراوي: حتى قلنا ليته سكت. فقد كان سكوته (ﷺ) متمنى محبوبًا، يشغل نفوسهم إشفاقًا عليه من انفعاله وكراهة لما يزعجه.

إنّ هذه الثنائية المزدوجة لها تأثيرها الخاص وإيحاؤها العميق في المخاطبين - وهو شدّة التحذير منها لعظم شأن مدلولها، والتنبيه على عظم ذنب مرتكبها - فتكون أدعى إلى المسارعة في التنفيذ والالتزام بالمضمون؛ إذ تساعدان (الحركة والقول) على ترسيخ مدلول الفكرة في نفوس السامعين وقلوبهم.

وفي الحديث الثالث كان مسح التراب بيديه الشريفتين عن رأس عمار بن ياسر[٨٥] (رضي الله عنه) متواشجة مع حديثه الشريف، فيها من الدلالة على الملاطفة والتكريم للصحابي الجليل بأداء حركة معبرة عن ذلك، مؤانسة وملاطفة له لما يقوم به من مشقّة وجهد؛ لحمله لبنتين لبنتين في بناء المسجد النبوي، إضافة إلى أن الحديث فيه تبشير له بالجنة والفوز بالشهادة.

فالحركة والقول في آن واحد بلا تفاوت بينهما في الزمان صعدا في إيصال ذلك المعنى والإحساس به.

وقد تكون الإشارة المصاحبة للقول تشي بمعنى التنبيه ولفت النظر مع شيء من الاعتذار، كما في الحديث الرابع، فكانت تلك الثنائية تنبيهًا للصحابي سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) لإلحاحه في القول: فأراد رسول الله (ﷺ) أن ينبه سعدا بلطف وبأدب نبوي جم على الحكمة في إعطاء أولئك وحرمان (جعيل) مع كونه أحبَّ إليه ممن أعطى؛ لأنه لو ترك إعطاء من أظهر الإسلام تألفًا، لم يؤمن ارتدادهم، فيكونون من أهل النار. كما أنّ هذه الحركة تشي بشيء من الاعتذار إلى سعد:

لعدم قبول مشورته حتى لا يشعر أنّ رسول الله (ﷺ) قد غضب عليه أو كره مقالته، فيا للخلق النبوي العظيم الذي عبّر عنه أفضل خير الله أبلغ تعبير[٨٦].

وقد تعبر حركة اليد عن صورة فنيّة رائعة، ترسمها الأصابع الشريفة بمصاحبة اللفظ، فيتحقق الإبلاغ والتأثير المطلوبان، كما في الحديثين الآتيين:

- عن أبي موسى (رضي الله عنه): أنّ النبي (ﷺ) قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا، ثم شبك بين أصابعه»[٨٧].

- وعن سهل بن سعد (رضي الله عنه) أنّ النبي (ﷺ) قال:

«بعثت أنا والساعة كهاتين». ويشير بإصبعيه فيمدهما[٨٨].

فالتشبيك بين الأصابع في الحديث الأول إشارة لبيان صورة التلاصق والتلاحم بين المؤمنين، فهم يشدّ بعضهم بعضًا مثل هذا الشد، فالإشارة عبرت عن المعنى، وزادته إيضاحًا بهذا التمثيل النبوي البليغ من أجل تقريب الفكرة في الأذهان وترسيخ مدلولها.

يقول العسقلاني في تعليقه على إشارة اليدين: «ويستفاد منه أن الذي يريد المبالغة في بيان أقواله يمثلها بحركاته؛ ليكون أوقع في نفس السامع»[٨٩]. فهو (ﷺ) يستعمل الإشارة مقترنة باللفظ عندما يريد أن يثبت المعنى في نفوس المخاطبين، ويقره في أذهانهم.

وفي الحديث الثاني كانت الإشارة دلالة على قرب الساعة وتوقع حدوثها وسرعة مجيئها، فكانت حركة مد الإصبعين الشريفتين (الوسطى والسبابة) أبلغ إشارة للدلالة على قصر المدّة الزمنيّة بين مبعثه (ﷺ) ووقوعها، فهي كناية عن القرب.

لقد ساهمت الصور الفنيّة التي عبّرت عنها حركة الأصابع في الحديثين في إثراء المعنى المقصود وترسيخ دلالته، ولا شك في أنّ الصورة أوقع في النفس، وأعمق تأثيرًا في المتلقي؛ إذ هي تتميز عادة بقوة الإيحاء وعرض الفكرة عرضًا حيويًّا متجدد الدلالات والمعطيات.

المبحث الثاني:

القرائن اللفظية:

إنّ الفرد لا يعبر ولا يتكلم ليصوغ أفكارًا فحسب، بل إنه في الواقع يتكلم ليؤثر في غيره، ويعبر عن انفعالاته إزاء هذا الموضوع أو ذاك. وقد أطلق على طريقة النطق أو الصوت اللغوي اللغة الانفعالية[٩٠].

وهي تعدّ قرائن صوتيّة معبّرة عن دلالات منوّعة، ذلك أنّ الصوت والنطق يمكن أن يُفصحا عن طبيعة انفعالية[٩١]، كالتوبيخ، أو الزجر، أو الرضا والاستحسان، أو التحذير، أو التهديد، أو التنبيه، هذه المعاني أدركها الصحابة المتلقون وفهموها عندما سمعوها من فيّ الرسول الكريم (ﷺ)، فقد وصفوا هذه المعاني وهم يروون تلك الأحاديث وطريقة نطقها.

والتعبير بقرينة النطق أو الصوت اللغوي ينقسم على:

أ- النبر.

ب- التنغيم.

جـ- التكرار.

أ- النبر:

وهو الضغط على مقطع خاص من كل كلمة، ليكون بارزًا، أوضح في السمع مما عداه من مقاطع الكلمة. أو هو ازدياد وضوح جزء من أجزاء الجملة في السمع عن بقية ما حوله من أجزاء[٩٢].

ويسميه الدكتور كمال أبو ديب بالإثقال الفيزيولوجي[٩٣]. أما الدكتور تمام حسان فيسميه بالوضوح السمعي[٩٤]، ويرجع هذا الوضوح السمعي إلى عنصرين يرتبط أحدهما بظاهرة علو الصوت وانخفاضه، وهي ترتبط بدورها بحركة الحجاب الحاجز في ضغطه على الرئتين؛ ليفرغ ما فيهما من هواء، فتؤدي زيادة كمية الهواء إلى اتساع مدى ذبذبة الأوتار الصوتية، فيكون في ذلك علو الصوت، ويرتبط العنصر الآخر بتوتر التَّماس بين أعضاء النطق في مخرج الصوت، أو بعبارة أخرى يأتي النبر في التوتر والعلو في الصوت اللذين يتصف بهما موقع معين من مواقع الكلام[٩٥].

إن طريقة نطق الكلام يدخل في حسبان البليغ للتعبير عن دلالات متنوعة فوق الدلالة المباشرة، وهذه الدلالة تؤثر في نفوس السامعين ويفتقدونها إذا سيق لهم القول مجردًا عنها مقتصرًا على أداء المعنى المجرد[٩٦].

إنّ الجملة الواحدة يمكن أن تتميز بالعديد من انفعالات من ينطق بها في أثناء موقف ما[٩٧].

فاللغة العربية ميزتها أنها إيحائية، لا تكتفي بالقول والتعبير، بل تهدف إلى التأثير في القارئ وتوجيهه وتحويله من موقف إلى موقف[٩٨].

ومن دراسة أحاديث رسول الله (ﷺ) تبين لنا هذا النوع من القرائن، التي يعبّر فيها نبي الهدى والرحمة عن شعوره وعواطفه وإحساسه، فنحس - كما أحسَّ الصحابة المتلقون (رضي الله عنهم) - بما صاحب النفس النبوية من حالات الغضب أو الرضا أو السرور أو التعجب أو الاستنكار، وهو (ﷺ) ينطق بهذه الألفاظ. فطريقة النطق هذه تتجاوز الإبلاغ المجرّد إلى الإثارة. كما سنرى في الأحاديث الشريفة الآتية:

- عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: نهى رسول الله (ﷺ) عن الوصال[٩٩]، فقال رجال من المسلمين: فإنك يا رسول الله تواصل، فقال: «أيكم مثلي، إني أبيت يطعمني ربي ويسقين». فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يومًا ثم يومًا، ثم رأوا الهلال، فقال: «لو تأخر لزدتكم»، كالمنكل بهم حين أبوا[١٠٠].

- وعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: إنّ النبي (ﷺ) جلس ذات يوم على المنبر، وجلسنا حوله، فقال: إنّ مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها، فقال رجل: يا رسول الله، أو يأتي الخير بالشر؟ فسكت النبي (ﷺ)، فرأينا أنه ينزل عليه. قال: فمسح عنه الرحضاء. فقال: أين السائل؟ - وكأنه حمده - فقال:«إنه لا يأتي الخير بالشر...»[١٠١].

إنّ تلون النطق يرتبط بالحالة الانفعالية للمتكلم - كما يقول علماء النفس- فالمتكلم يؤكد على مخارج الأصوات، ويتكلم بدقة عندما يكون غاضبًا[١٠٢]، ولا شك في أنّ نبرة الصوت عند النطق بكلمة (لزدتكم) في الحديث الأول وشت بهذه المشاعر التي عبّر عنها الراوي بوصفها (كالمنكل بهم حين أبوا)؛ إذ لا بد من أنّ الضغط على هذه الكلمة كان أقوى من بقية مقاطع الجملة إشارة لهم إلى غضبه عليهم، وزجره لهم؛ لإصراراهم على الوصال، وعنادهم فيه؛ أي لو تأخر الهلال لزدتكم في الوصال إلى أن تعجزوا عنه، فتسألوا التخفيف عنكم بتركه[١٠٣].

ويأتي هذا الزجر بعد الاستفهام الذي يفيد التوبيخ المشعر بالاستبعاد أن يكون أحد على صفته أو منزلته من ربه.

إنّ طريقة النطق هنا أضفت على الكلام حيويّة، وزادت من الإقناع والتأثير بما حققت للمتلقي من دلالات فكريّة وإيحاءات عميقة ساعدت على سرعة الاستجابة والاقتناع.

وفي الحديث الثاني أدرك الراوي (رضي الله عنه) أنّ رسول الله (ﷺ) قد حمد الأعرابي على سؤاله، ولا شك في أنّ إحساسه بذلك كان من نبرة الصوت النبوي؛ إذ ربما كان الضغط على كلمة (السائل) هي التي أوحَتْ بمشاعر الرضا والاستحسان التي أدركها الراوي.

فالنبر - فيما أرى- العنصر الوحيد الذي وشى بهذا الإحسان إضافة إلى ما قد يكون صاحبه من تعبيرات في ملامح الوجه، لم يفصح الراوي عنها.

فالعبارة اللفظيّة تتصف بشحنات انفعالية خاصّة تظهر في تغير في الصوت، أو حدة في الحديث، أو تأكيد على بعض الألفاظ، أو استخدام الإشارات في أثناء الحديث، أو تنغيمات معينة[١٠٥].

ب- التنغيم:

وهو من القرائن اللفظيّة في الكلام[١٠٥]؛ إذ إنّ في كل عبارة تعبيرًا معينًا يتصف بنغمة صوتية تختلف عن الأخرى، فنوعية النطق الصوتي يضفي على العبارة نوعًا معينًا من المعنى، فليس الأمر معرفة العبارة وتحليل عناصرها التركيبيّة النحوية فحسب، وإنما الوقوف قبل كل شيء على تقدير قيمتها الانفعالية[١٠٦].

يقول الدكتور تمام حسان: إنّ التنغيم هو الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق، ويوضح أن بالإمكان أحيانًا أن نحدد ما إذا كانت الجملة استفهامًا أو إثباتًا أو تأكيدًا إذا ما سمعنا الجملة ممن ينطقها وهو مقفل الشفتين؛ إذ قد تغني النغمة العامّة المسموعة حينذاك عن سماع ألفاظ الجملة[١٠٧]. فهذا التنغيم أو (موسيقا الكلام) كما يسميه الدكتور إبراهيم أنيس دليل لفظي يلوّن الجملة كلّها[١٠٨].

وأوضح (فيرث J.R.Firth) أهمية التنغيم أيضًا حين أكّد أنّ لا نحو بدون تنغيم، فإمكان تبين المعاني العامة للجملة غير وارد إذا خلا الكلام من التنغيم[١٠٩].

أما علماء الأصوات فقد عرفوا التنغيم بأنه: «تنوعات في علو النغمة الحنجرية؛ أي في تردد ذبذبات الحبال الصوتية»[١١٠].

وهناك صلة وثيقة بين النبر والتنغيم، لا يمكن التمييز بينهما إلا بصعوبة، يقول الدكتور تمام حسان: «ولذلك يكثر أن يقف المرء عند أحد المعاني باحثًا عما إذا كان هذا المعنى وظيفة النبر بمفرده أو التنغيم بمفرده، ثم لا يستطيع الجزم بأنه وظيفة أحدهما على انفراد[١١١].

ولعلّ من أصرح الإشارات إلى أهمية التنغيم وأثره في الإفصاح عن المعنى ما ذكره ابن جني في الكيفيّة التي تؤدي بها كلمة (ليل) في (سير عليه ليل) لتفيد معنى (الطول) في الشيء من غير استخدام وصف منطوق به كـ(طويل)، تلك الكيفيّة تكون بأداء لفظ (ليل) هذا مطوحًا أو مطرحًا ومفخمًا ومعظمًا[١١٢].

وكذلك ما ذكره ابن يعيش من جهة أخرى، من إمكان مدح (رجل) بكيفيّة خاصّة في أداء القسم السابق لكلمة (رجل) على سبيل المثال، في (كان، والله، رجلاً)، وذلك بأن «تزيد في قوة اللفظ بـ

(الله)، وتمطيط اللام، وإطالة الصوت بها، فيفهم أنك أردت كريمًا أو شجاعًا أو كاملا»[١١٣].

فهذه الإشارات والتصريحات تقطع بإدراك القدماء لذلك الجانب الصوتي المتعلق بالأداء وأثره في الإبلاغ.

وفيما يأتي الأحاديث الشريفة التي يرى البحث أن التنغيم فيها قد عبّر عن المعاني المختلفة التي أدركها الصحابة (رضي الله عنهم)، وأحسّوا من خلال التنغيم، وما يحمله من شحنة دلالية وشحنة انفعالية، دلالات وإيحاءات تعزى لا إلى بنية الجملة في حد ذاتها وإنما إلى عملية نطقها، فهذه النواحي الانفعالية كانت وسيلة الاتصال بين المتكلم والمخاطبين.

فهذا الصحابي جابر (رضي الله عنه) يقول: «كان النبي (ﷺ) إذا خطب وذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته..»[١١٤]، ولا شك في أنّ رفع الصوت يعبر عن شدّة الغضب[١١٥]، وشدة التحذير، وهذا المعنى ظهر في الصوت لا في أبعاد التراكيب.

- وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال:«ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم؟ فاشتد قوله في ذلك حتى قال: «لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم»[١١٦].

- وعن البراء بن عازب (رضي الله عنه): «كان النبي (ﷺ) ينقل معنا التراب يوم الأحزاب، يقول:

لولا أنت ما اهتدينا، ولا تصدقنا، ولا صلينا، فأنزل سكينة علينا، إن الألى قد بغوا علينا، إذا أرادوا فتنة أبينا أبينا. يرفع بها صوته»[١١٧].

- وعن جابر (رضي الله عنه) يقول: أتيت النبي (ﷺ) في دين كان علي أبي، فدققت الباب، فقال: من ذا؟ فقلت: أنا، فقال: أنا أنا . كأنه كرهها»[١١٨].

إن تغير الصوت النبوي كما يصفه الراوي (فاشتد قوله في ذلك)، والحدّة في الحديث والتأكيد على بعض الألفاظ مع تنغيمات معينة، كلها شحنات انفعالية تتصف بها العبارة اللفظيّة.

إنّ هذه القرائن اللفظيّة بمنزلة إعلان عن مشاعر التحذير والتهديد من هذا الفعل المستنكر، وهو رفع الأبصار إلى السماء في الصلاة، الذي عبر عنه بالاستفهام الإنكاري (ما بال أقوام؟)، وجاء التحذير والتهديد بصيغة الفعل المضارع المقرون بلام الأمر متواشجًا مع نون التوكيد الثقيلة من أجل المبالغة في التحذير والتهديد.

كما أنه (ﷺ) لم يعلن عن فاعل الخطف، بل جعله مجهولاً زيادة في التخويف والترهيب.

ويلحظ أن رسول الرحمة لم يصرح باسم الرافع وفق منهجه في إخفاء الأشخاص المخاطبين تجنبًا لإحراجهم أو فضحهم على رؤوس الأشهاد، فالاستنكار بهذا التعميم الذي لا يقصد به أحد يبقى حيًّا خالدًا مخاطبًا الأجيال على مدى العصور.

أما الحديث الثاني فإنّ صعود النغمة في آخر الكلام (أبينا أبينا) التي عبّر عنها الراوي برفع الصوت، والتي ربما صاحبها توقف في مقطع منبور في الكلمة (أبينا)، لهي دلالة على التعبير عن الإصرار والعناد ومواجهة الباطل مهما كانت قوته واستعداده[١١٩].

وفي الحديث الثالث لا بد من أنّ إحساس الراوي بكراهية رسول الله (ﷺ) للفظة (أنا)[١٢٠] كان من طريقة نطقه الشريف لها بنغمة صوتية صاعدة إضافة إلى تكرارها، ولا شك في أنّ عملية التنغيم هي التي قامت بهذا الإبلاغ، وأوصلت ذلك المعنى إلى المتلقي الذي أحسّه وتأثر به.

جـ- التكرار:

تكرار الكلمة أو الجملة في أثناء الكلام ظاهرة أسلوبية، وهو إشارة صوتيّة تؤثر في أداء المعنى الذي يقتضيه المقام، ولا سيما الجانب الدلالي الذي تحمله تلك الظاهرة في طيّاتها.

والتكرار سمة بارزة في أحاديث رسول الله (ﷺ) وهو يشي بمعان متباينة، فقد يوحي بالتنبيه أو الإنكار أو التحذير أو التأكيد، فالتكرار يكون من أجل شد انتباه المخاطب، وترسيخ المعنى في ذهنه؛ لتتحقق المشاركة والتأثير والاستجابة المطلوبة، «فوظيفة اللغة ليست مجرد نقل أفكار أو التعامل مع حقائق ثابتة، وإنما تنقل الجانب المنطقي والجانب الانفعالي للمتكلم[١٢١].

وسنرى في الأحاديث الآتية المعاني المختلفة التي وشى بها أسلوب التكرار:

- عن أنس بن مالك (رضي الله عنه): «أنّ النبي (ﷺ) ومعاذ رديفه على الرحل قال: يا معاذ بن جبل، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: يا معاذ . قال: لبيك يا رسول الله وسعديك (ثلاثا) قال: ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار»[١٢٢].

- وروى أسامة بن زيد (رضي الله عنه) أنه قتل رجلاً من الأنصار بعدما نطق بالشهادة، فقال له رسول الله (ﷺ): «يا أسامة، أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟ فقال له أسامة: يا رسول الله، إنما كان متعوذًا. فأجابه: قتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟ يقول أسامة: فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم»[١٢٣].

- وعن عبد الله المزني عن النبي (ﷺ) قال: «صلوا قبل صلاة المغرب، قال - في الثالثة- لمن شاء، خشية أن يتخذها الناس سنة»[١٢٤].

ففي الحديث الأول النداء والإجابة قيلا ثلاثًا، وهذا التكرار تنبيه للمخاطب على الإصغاء، وإيقاظ ذهنه وتوجيه عنايته إلى الاهتمام بما يخبره به، وأن يبالغ في تفهمه وضبطه، وهو بيان أهمية إخلاص التوحيد لله -عز وجل- وحده والإيمان برسوله الكريم.

يقول الزمخشري في بلاغة نداء القريب: «فإذا نودي به القريب المفاطن، فذلك للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوه معني به جدًّا»[١٢٥]. فكيف إذا كان النداء مكررًا ثلاث مرات! لا شك في أنه يكثف المعنى الدلالي ويعمقه في النفوس. وقد كانت عادة رسول الله (ﷺ) أن يكرر ما كان يعظ به، وينصح ثلاث مرات أو سبعًا؛ ليركزه في قلوب الصحابة، ويغرسه في صدورهم، كما ذكر الزمخشري[١٢٦].

أما في الحديث الثاني فإن حدّة الانفعال تظهر في تكرار الاستفهام الإنكاري ومن الاعواض عن قبول العذر، كما ذكر راوي الحديث، فالتكرار هنا، في هذا المقام، يشي بمعاني اللوم والتأنيب والإنكار ليس على فعل القتل فحسب، وإنما على قتل من تلفّظ بالتوحيد. يقول القرطبي: «وفي تكريره ذلك والإعراض عن قبول العذر زجر شديد عن الإقدام على مثل ذلك»[١٢٧].

وقد أدرك الصحابي الجليل تلك المعاني الانفعالية التي وشى بها التكرار فتمنى أن يكون ذلك الوقت أول دخوله في الإسلام؛ ليأمن جريرة تلك الفعلة لما سمع من الإنكار الشديد من رسول الحق والهدى.

وتكرار جملة «صلوا قبل صلاة المغرب» في الحديث الثالث ثلاث مرات إشارة إلى أهميتها والتأكيد على أدائها، ولكنه أعقب ذلك في الثالثة

«لمن شاء» ليدل على التخيير بعد أن مهّد بالتكرار إلى أهمية أدائها والحض عليها، وذلك من بلاغة التعبير النبوي.

وهكذا يتبين لنا أن التكرار في الحديث النبوي الشريف ذو فاعلية مؤثرة في الأداء على المستويين الصوتي والدلالي تكثيفًا وتعميقًا، من أجل إثارة المعاني الدلاليّة للمضمون، وتأكيدها في بنية السياق؛ ليشي بأن الأمر خطير وهو يستوجب زيادة في التأكيد وزيادة في تنبيه المخاطب، وهو في الوقت نفسه يعبر عن شدّة اهتمام المتكلم بالمضمون وانفعال النفس به[١٢٨].

الخاتمة:

لقد كشفت دلالات القرائن في التعبير النبوي بأساليبها المختلفة عن قدرة متميزة لأعلى ذروة للبلاغة البشرية من أجل إيصال المعنى إلى السامع، وتحقيق الاستجابة المطلوبة بما تضفي على الموقف من حيوية، فتزيد من الإقناع والتأثير.

وكانت تلك القرائن تراعي المطابقة لمقتضى الحال بدقّة متناهية؛ إذ يراد بها الإيقاظ وإثارة حركة الفكر والحس؛ ليتلفت المخاطب بهذا الحضور الواعي إلى المعنى (الفكرة)، فيستوعبه بخفاياه ودقائق همسه، فيتلفظ بالمراد، إضافة إلى أنها تحقق الاستجابة والاقتناع في المتلقي، فيبلغ المضمون غايته وهدفه.

إنّ رسول الهدى والحق (ﷺ) يخاطب المشاعر والعواطف والانفعالات، وكل المؤثرات التي توجه الإنسان وتؤثر في سلوكه واتجاهه، من عقله وغرائزه ومشاعره، لذا فقد يسلك من أجل ذلك سبيل الإشارة المثيرة للانتباه، والمساعدة على الحفظ والتذكر، فتحقق بذلك قدرًا وافرًا من التأثير والاستجابة لم يكن ليتوافر لو جاء الكلام غير مقرون بالإشارة؛ إذ تتضاءل قدرته الأدائية على إثارة ذلك القدر المطلوب منهما، بما تتيحه الإشارة من دلالات فكريّة تعمق المعنى وتزيده إيحاء وإثراء. ■

•••

الحواشي

١- علم النفس اللغوي:٢٨.

٢- المصدر نفسه.

٣- علم النفس اللغوي:٢٨.

٤- اعتمدت الدراسة على أحاديث صحيح البخاري من خلال الشرح المسمى فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني.

٥- فتح الباري:٩/٥٤٧.

٦- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي:٢٢.

٧- المصدر نفسه.

٨- اللغة العربية معناها ومبناها: ٣٥٣.

٩- نصائح طبية، مجلة التربية الإسلامية. ع٢، س٢١، ١٩٧٨م.

١٠- علم النفس العام:٣٧٥.

١١- إذ كان عليه الصلاة والسلام ينفعل لله تعالى، ولا ينفعل لنفسه قط.

١٢- علم النفس العام:١٦٣.

١٣- فتح الباري:١٠/٦٣٤.

١٤- علم النفس العام:١٦٠-١٦٦.

١٥- صحيح البخاري، كتاب الاستئذان:٤/٩٧.

١٦- صحيح البخاري، كتاب المغازي:٣/٦٤.

١٧- صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء:٣/٢٦٢.

١٨- ينظر: أساليب الطلب في الحديث الشريف: ١٠٩.

١٩- فتح الباري: ٨/٣٠.

٢٠- فتح الباري: ١٠/٦٢٩.

٢١- فتح الباري: ١٠/٧١٦.

٢٢- علم النفس العام:٤٧.

٢٣- فتح الباري: ١٠/٦٣٤.

٢٤- لمزيد من الأمثلة عن هذا اللون من التعبير ينظر: فتح الباري: ١/٩٥، ٢٤٨، ٢/٢٥٤، ٥/٤٤، ٦/٣٨٢، ٥٥٧، ٧/٢١، ٢٠٩، ٨/١٠٥، ٩/١٨١، ٥٣٦، ١٠/٢٦٤، ٦٣٣، ٦٣٤، ١٣/١٧٠.

٢٥- علم النفس العام:١٧١.

٢٦- صحيح البخاري، كتاب المغازي:٣/٣.

٢٧- صحيح البخاري، كتاب المغازي:٣/٨٩.

٢٨- فتح الباري:٨/١٤٥

٢٩- المصدر نفسه.

٣٠- لمزيد من الأمثلة ينظر: فتح الباري:٦/٧٠١، ٧/١٦٧.

٣١- اللغة العربية معناها ومبناها:٣٢٥.

٣٢- صحيح البخاري، باب الجنائز: ١/٢٢٥.

٣٣- المخيلة: السحابة التي يخال فيها المطر، لسان العرب(خيل) :١٣/٢٤١.

٣٤- الأحقاف:٢٤.

٣٥- صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق:٢/٢١٠.

٣٦- فتح الباري: ٣/٢١٥.

٣٧- علم النفس العام: ١٦١، ١٩٤.

٣٨- إحياء علوم الدين:٢/١٦٠.

٣٩- لمزيد من الأمثلة ينظر: فتح الباري: ٦/٥٢١، ١٣/٢٤، ١٣١.

٤٠- اللغة العربية معناها ومبناها:٣٥٣.

٤١- معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني:٢٠٩.

٤٢- البيان والتبيين:١/٥٦.

٤٣- المصدر نفسه، وينظر العمدة:١/٣٩.

٤٤- المصدر نفسه.

٤٥- صحيح البخاري، كتاب الصلاة: ١/٢٠٨-٢٠٩.

٤٦- يتكفؤها: يميلها من كفأت الإناء إذا أملته، لسان العرب(كفأ):١/١٢٦.

٤٧- النزل: ما يقدم للضيف وللعسكر، يطلق على الرزق وعلى الفضل، لسان العرب:١٤/١٨١.

٤٨- النواجذ: آخر الأضراس.

٤٩- صحيح البخاري، كتاب الرقاق:٤/١٢٢.

٥٠- صحيح البخاري، كتاب الرقاق:٤/١٢٢.

٥١- نفسه.

٥٢- فتح الباري: ١١/٤٥٥.

٥٣- فتح الباري:١١/٣٤٣.

٥٤- القلم: ٤.

٥٥- لمزيد من الأمثلة ينظر: فتح الباري: ٦/١٩٨، ٨/٤٢٥، ٩/٣٩٦، ١٠/٤٢، ٢٢٥، ٦١٨، ١١/٨٣، ٢٩٣، ٥١٠، ٧٣٠، ١٢/٥٥٠، ٥٩٦.

٥٦- من الاقلال، وهو الرفع والحمل، لسان العرب(قلل): ١٤/٨٣.

٥٧- صحيح البخاري، كتاب الصلاة:١/٢٠٧.

٥٨- أخلف بيده: أي أدارها من خلفه، لسان العرب(خلف):١٠/٤٣٠.

٥٩- صحيح البخاري، كتاب الإستئذان:٤/٨٦.

٦٠- صحيح البخاري، كتاب الصلاة:١/٢٠٧

٦١- صحيح البخاري، كتاب النكاح:٣/٢٤

٦٢- ٤.

٦٣- فتح الباري:٩/٨٩.

٦٤- فتح الباري:١/٤٣٦.

٦٥- فتح الباري:١/٤٣٦، ٢/٢٢١، ٥٩٢، ٣/١٣٩.

٦٦- فتح الباري: ٣/١٠٠، ٢/١٩٣.

٦٧- فتح الباري: ٢/١٩٣.

٦٨- فتح الباري: ١/٤٩٥.

٦٩- فتح الباري: ٢/٢٧٨، ٢٧٨، ٣/٢٢٥، ٤/٢٤٨، ٦/١٠٤، ٤٣١.

٧٠- فتح الباري: ٥/٩٣.

٧١- فتح الباري: ١/٥٤٨.

٧٢- فتح الباري: ٤/٢٢٤.

٧٣- البيان والتبيين:١/٥٦.

٧٤- لمزيد من الأمثلة ينظر فتح الباري: ١/٥٨٣، ٢٤١، ٦٦٨، ١١/٣١٧ -٣١٨، ٢٨٣، ١٢/١٢١.

٧٥- اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة:٢٢.

٧٦- البيان والتبيان: ١/٥٨.

٧٧- محاولة في أصل اللغات: ٢١.

٧٨- أشاح بوجهه عن الشيء: نحاه عنه، لسان العرب (شيح):٣/٣٣١.

٧٩- فتح الباري: ١١/ ٤٨٨.

٨٠- نفسه: ٥/٣٢٨.

٨١- صحيح البخاري، كتاب الصلاة:١/٨٩.

٨٢- هو جعيل بن سراقة الضمري.

٨٣- صحيح البخاري، كتاب الزكاة:١/٢٥٨

٨٤- أساليب الطب في الحديث الشريف: ١١٩.(رسالة دكتوراه - هناء محمود شهاب).

٨٥- خصائص التراكيب:٢٠٥.

٨٦- خص الرأس بالمسح كما ورد في رواية أخرى، فتح الباري:٦/٣٧.

٨٧- لمزيد من الأمثلة ينظر: فتح الباري: ١/٢٤٠، ٢٤١، ٦٣٩، ٢/٩٧٨، ٣/١٢، ٦/٤٧٠، ٧/٥٨٩، ١٠/٥٣٥، ١١/٨٣، ٢٨٠.

٨٨- صحيح البخاري، كتاب الأدب: ٤/٥٥.

٨٩- صحيح البخاري، كتاب الرقاق:٤/١٢٠.

٩٠- فتح الباري: ١٠/٥٥١.

٩١- علم النفس اللغوي:٣٧.

٩٢- البلاغة والأسلوبية: ١٤٥.

٩٣- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي:١٠٣، اللغة العربية معناها ومبناها:١٧٠.

٩٤- في البنية الإيقاعية للشعر العربي: ٢٩٦.

٩٥- اللغة العربية معناها ومبناها: ١٧٠.

٩٦- المصدر نفسه.

٩٧- مدخل إلى علم الأسلوب:٣٠.

٩٨- علم النفس اللغوي:٣٧.

٩٩- اللغة العربية في اطارها الاجتماعي:١٩٦.

١٠٠- يقصد الوصال في الصوم.

١٠١- صحيح البخاري، كتاب الحدود: ٤/١٨٤.

١٠٢- صحيح البخاري، كتاب الزكاة:١/٢٢٥.

١٠٣- اللغة وعلم النفس:٢٣٥.

١٠٤- فتح الباري: ٤/٢٥٩.

١٠٥- علم النفس اللغوي:٣٧.

١٠٦- اللغة العربية معناها ومبناها :٢٢٦، اللغة والمعنى والسياق:١٥١.

١٠٧- علم النفس اللغوي:٣٧.

١٠٨- اللغة العربية معناها ومبناها:٢٢٦.

١٠٩- الأصوات اللغوية :١٧٥-١٧٦.

١١٠- Firth.J.R., Papers in liguistics, pp 6. 28.

١١١ علم الأصوات: ٢٠٩.

١١٢- اللغة العربية معناها ومبناها:٢٣٠.

١١٣- الخصائص: ٢/ ٢٧٠-٢٧١.

١١٤- شرح المفصّل:٣/٦٣.

١١٥- فتح الباري: ١/١٩١.

١١٦- اللغة وعلم النفس:٢٣٥.

١١٧- صحيح البخاري، كتاب الأذان :١/١٣٧.

١١٨- صحيح البخاري، كتاب التمني:٤/٢٥٠.

١١٩- صحيح البخاري، كتاب الاستئذان:٤/٨٩.

١٢٠- لمزيد من الأمثلة عن النبر والتنغيم ينظر: فتح الباري: ١/١٩١، ٢/٢٩٦.

١٢١- قوله (أنا) لا يتضمن الجواب، ولا يفيد العلم بما سئل عنه، وكان حق الجواب أن يقول أنا جابر ليقع تعريف الاسم الذي وقعت المسألة عنه. فلهذا حصلت الكراهية(فتح الباري: ١١/٤٢).

١٢٢- البلاغية والأسلوبية:١١٩.

١٢٣- صحيح البخاري، كتاب العلم :١/٣٧.

١٢٤- صحيح البخاري: كتاب الديات:٤/١٨٧.

١٢٥- صحيح البخاري، كتاب الصلاة:١/٢٠٥.

١٢٦- الكشاف: ١/٢٢٤.

١٢٧- الكشاف: ٤/١٢٣.

١٢٨- فتح الباري :١٢/٢٣٥.

١٢٩- لمزيد من الأمثلة، ينظر فتح الباري:١/٢٦٥، ٢/٢٥٥، ١١/٦٤٤، ١٢/٣٩٢، ١٣/٢٢٥.

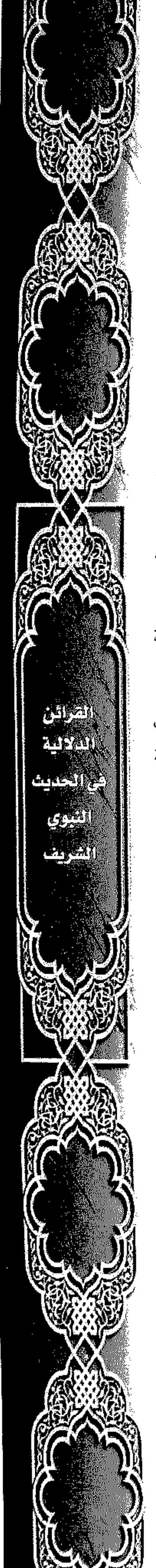

المصادر والمراجع

١- **إحياء علوم الدين**، للإمام الغزالي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، د.ت.

٢- **أساليب الطلب في الحديث الشريف**، لهناء محمود شهاب، رسالة دكتوراه، جامعة الموصل، ١٩٩٥.

٣- **الأصوات اللغوية**، للدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٩.

٤- **البلاغة الأسلوبية**، للدكتور محمد عبد المطلب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.

٥- **البيان والتبيين**، للجاحظ، تح. فوزي عطوي، دار صعب، بيروت.د.ت.

٦- **الخصائص**، لابن جني، تح. محمد علي النجار، القاهرة، ١٩٥٥.

٧- **خصائص التراكيب**، للدكتور محمد أبو موسى، ط٢، دار التضامن، القاهرة، ١٩٨٠.

٨- **شرح المفصّل**، لابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

٩- **صحيح البخاري**، بحاشية السندي، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، بغداد، ١٩٨٦.

١٠- **علم الأصوات**، لبارتيل كالمبرج، تعريب د.عبد الصبور شاهين، مطبعة التقدّم، القاهرة، ١٩٨٥م.

١١- **علم النفس**، للدكتور حسين ياسين طه، والأستاذة أميمة يحيى علي خان، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، ١٩٩٠م.

١٢- **علم النفس اللغوي**، للدكتورة نوال محمد عطية، ط١، مكتبة الأنجلو المصريّة، ١٩٧٥م.

١٣- **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، لابن رشيق القيرواني، تح. محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٤، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢م.

١٤- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، لابن حجر العسقلاني، تح. عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ومحمد فؤاد عبد الباقي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩م.

١٥- **في البنية الإيقاعية للشعر العربي**، للدكتور كمال أبو ديب، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م.

١٦- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، للزمخشري، دار المعرفة، بيروت.د.ت.

١٧- **لسان العرب**، لابن منظور، طبعة مصورة عن طبعة بولاق، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

١٨- **اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة**، للدكتور حسن ظاظا، ١٩٧١م.

١٩- **اللغة العربية في إطارها الاجتماعي**، لمصطفى لطفي، ط١، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٧٦.

٢٠- **اللغة العربية معناها ومبناها**، للدكتور تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣.

٢١- **اللغة وعلم النفس**، للدكتور موفق الحمداني، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، د.ت.

٢٢- **اللغة والمعنى والسياق**، جون لاينز، تر. عباس صادق الوهاب، مراجعة د. يوئيل عزيز، ط١، سلسلة المئة كتاب، دار الشؤون الثقافة العامة، بغداد، ١٩٨٧.

٢٣- **محاولة في أصل اللغات**، جان جاك روسو، تعريب محمد محجوب، دار الشؤون الثقافية والنشر التونسية، بغداد، ١٩٨٦.

٢٤- **مدخل إلى علم الأسلوب**، لشكري محمد عياد، ط١، دار العلوم، الرياض، ١٩٨٢م.

٢٥- **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**، للدكتور رمضان عبد التواب، ط٢، القاهرة،١٩٨٥.

٢٦- **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، الراغب الأصفهاني، تح. نديم مرعشلي، دار الكاتب العربي، بيروت، ١٩٧٢م.

٢٧- Firth.J.R., Papers in liguistics, London, Oxford University Press,